غزوات نادر شاه للعراق:

كان لظهور نادر قلي خان ، والذي عرف فيما بعد بنادر شاه [77] في ايران سنة 1727 ايذاناً بتحولات عسكرية وسياسية مهمة في المنطقة عانى منها العراق الكثير ، فبعد ان نجح هذا القائد في اعادة توحيد ايران وهزيمته قوات الافغان واعلان عودة الحكم الصفوي الى ايران سنة 1730 بزعامة الشاه طهماسب الثاني أصبح نادر قلي قائداً عاما للجيوش الصفوية ، اخذ يفكر بالتوسع باتجاه العثمانيين ،فبعد ان رفض الاعتراف بالصلح الموقع بين الدولتين سنة 1732 هدد باحتلال بغداد.

ومما لاشك فيه فان اطماع هذا القائد الطموح جعلت البصرة في مقدمة اهدافه العسكرية التوسعية ،كونها ثغر العراق وعمقاً استراتيجيا لبغداد ومركزاً مهما من مراكز تجارة الخليج العرابي ،وهكذا كانت محاولة الفرس لاحتلال البصرة جزءاً مهما من اطماعهم التوسعية في العراق وجهودهم المستمرة للسيطرة فضلا عن ذلك فأن البصرة تعد قوة مهمة ومساعدة في حفظ التوازن والامن في منطقة الخليج من خلال تعاونها الوطيد مع القوة العربية وامكانياتها على الصمود بوجه القوة الغازية .

ان حروب نادر شاه في العراق للمدة من 1735–1743م تعد من المراحل الفاصلة في تأريخ العراق العثماني الحديث ، فقد تركت اثاراً بعيدة المدى في تطور العراق السياسي ابان ذلك العهد وتسببت في احداث تغيرات مهمة في تكوينه الاجتماعي . فشكلت تلك الحروب وما خلفته من نتائج نهاية ما عرف بالعهد العثماني الثاني في العراق سنة 1749م .وكان لها تأثير هام في تشكيل حكومة المماليك التالية والتي استمرت حتى سنة 1831م ونبهت الى ضرورة انشاء نظام اداري وعسكري متين يستطيع المحافظة على البلاد .

الغزوة الاولى :

مطلع سنة 1735 قام نادر شاه بالهجوم على البصرة ، مستقلا اضطراب الاوضاع فيها ، بسبب اندلاع القتال بين العثمانيين والقبائل العربية وضعف السلطة المركزية والانحسار الفعلي للوجود العثماني المباشر على اقاليمها العديدة مما ادى الى قيام السلطات المحلية بمحاولة ملئ الفراغ الناجم عن ذلك الانحسار .

استطاع لطيف خان قائد الاسطول الفارسي الدخول الى شط العرب على رأس اسطول يتألف من ثلاث سفن كبيرة وعدد كبير من السفن الصغيرة والزوارق ، كما اصدر اوامره الى (8000)جندي ايراني بالزحف عن طريق البر لمساعدة الاسطول الايراني قام بالزحف نحو البصرة قبل وصول القوات البرية الايرانية ، وعندما علم متسلم البصرة بهذا الهجوم طلب من مقيم شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة مارتن فرينج تسليمة السفينتين العائدتين الى الشركة اللتان كانتا راسيتين في الميناء ، الا ان المقيم تردد في الموافقة خوفاً من غضب الفرس ، مما اضطر متسلم البصرة الاستلاء على السفن عنوة ووضع مائتي جندي في كل سفينة وعند الجزء الضيق من شط العرب جنوب البصرة بحوالي 15 ميلا حدثت المعركة ولمدة ثلاثة ايام تمكن اهل البصرة من هزيمة القوات الفارسية ، واثبت عجز الفرس عن دخول البصرة ،بفضل صمود اهلها ، مما ولد ازعاجاً كبير لنادر شاه الذي حاول تبرير فشله بعدم مساعدة السفن الانكليزية لقواته وطالبهم بالتعويض المالي . وظلت البصرة بعد فشل نادر شاه سنة 1735 في مأمن من الاخطار واطماع الفرس بسبب انشغالهم بالأمور الداخلية .

الغزوة الثانية/

بعد مرور ثمان سنوات وبالتحديد سنة 1743 اتخذ نادر شاه من رفض الدولة العثمانية بعض مطالبه ذريعة لإعادة غزو البصرة والهجوم على الاراضي العراقية من اجل ارغام الدولة العثمانية على توقيع معاهدة سياسية تكون شروطها في صالح الحكومة الفارسية .[84] وفي 16 تموز 1743 ارسل السردار (قوجه خان) قائد جيش نادر شاه انذاراً رسمياً الى متسلم البصرة (رستم اغا) يطلب فيه تسليم المدينة الى قواته ،مقابل رضا الشاه عنه . وعند وصول الانذار الى البصرة عقد متسلمها مجلساً من اعيانها حضرة الشيخ درويش نقيب الاشراف لمناقشه فحو الانذار ،والاتفاق على صيغة الجواب ، وبعد بضعة ايام من المداولة اتفق

الجميع على رفض مطالب السردار رفضاً قاطعاً وتصميم اهالي البصرة في الدفاع عن مدينتهم مهما كان الثمن .

وبذلك تحركت القوات الغازية على محوريين , الاول هو التغلغل في اراضي الحويزة وصولا الى مصب نهر الكارون عند مدينة المحمرة الحالية ،ثم العبور الى المنطقة المقابلة للبصرة من الجانب الشرقي فاستولى هناك على قلعة كردلان المواجهة للبصرة . والمحور الثاني من منطقة المحمرة حيث اجتاز الجيش نهر شط العرب على جسر من القوارب شيد لهذا الغرض وبعد اتمام عملية العبور الى الضفة الغربية من شط العرب، والتقدم بمحاذاة النهر فاستولى على قرية السبيليات التي تبعد 12 كم جنوب مدينة البصرة واحدث مذبحة عظيمة ثم واصل تقدمة حتى وصل الى قرية السراجي فأستولى عليها وارتكب فيها مذبحة كما فعل بسابقاتها. بعدها اتجهت قوات من الجيش الى الزبير وفي طريقها قامت بتدمير بعض القرى كقرية(ذراع)التي تقع بين البصرة والزبير شرق مسجد البصرة (خطوة الامام علي الحالية) ثم هدمت قبتا مرقدي طلحة والزبير.

بدأت القوات الايرانية حصارها على البصرة في 28 اب 1743، وقد اصدر المقيم البريطاني في البصرة مستر دوريل اوامره بمغادرة جميع السفن الانكليزية مياه شط العرب وعدم الاقتراب منها ، بل وامر بأبعاد فرقته الصغيرة التي كان يملكها هو شخصيا ، لكن بحارة هذه الفرقة كانوا من العرب فأرغموا قائدها على ان يرجع بها الى البصرة .تم قام متسلم البصرة بسجن المستر دوريل بسبب رفضه اعارة سفنه في خيمة بالقرب من سور المدينة، وقد رضخ فيما بعد دوريل لإرادة متسلم البصرة . لقد فشلت العديد من الهجمات التي شنتها القوات الايرانية في اثناء حصار المدينة بسبب صمود اهل البصرة ، وافتقار القوات المهاجمة الى المدفعية الثقيلة اذ ان معظم تسليح القوة الايرانية المهاجمة كان خفيفا. وقد شعرت القيادة الايرانية بذلك النقص ،لذلك ارسلت المدافع الثقيلة الى الحملة في 27 تشرين الثاني 1740م لاستخدمها في الحصار على البصرة . وقد تم قصف المدينة قصفاً شديداً اضر بالعديد من منشئاتها اذ استمر القصف طيلة اليل والنهار ، وقد اصيبت القنصلية الفرنسية وخان الكرملين وباقي بنايات المدينة . ثم اعقب ذلك هجوم اخر من القوات الايرانية ،الا ان قوات الدفاع عن البصرة استطاعت من صد القوات الايرانية المهاجمة ودحرها مرة اخرى.[85]

لقد فشلت القوات الغازية في عدوانها على البصرة مدة الحصار الذي ضربته على المدينة ، والذي استمر لأكثر من ثلاثة اشهر، بالرغم من عدم تكافؤ الاسلحة والقوات بين الجانبين ، حتى اضطرت القوات الايرانية

على الانسحاب في اخر الامر عن البصرة وذلك في 16 كانون الاول 1743، ويبدو ان انسحاب جيش نادر شاه يرجع الى خيبة امل الاخير باحتلال البصرة بسبب صمود اهلها الاسطوري وتصديهم للمحتل الغاصب . ومن جانباً اخر اخفاق قواته باحتلال الموصل في شمال العراق في نفس الوقت ، اذ تعد الموصل عقدت الموصلات بالنسبة للقوات العثمانية واحتلالها يعني من الناحية العسكرية سقوط بغداد والبصرة بسبب قطع الاتصال بإسطنبول .

وبذلك فقد تمكن اهل البصرة بفضل صمودهم وتماسكهم وتأزرهم النجاح في الدفاع عن مدينتهم والتصدي لتحالف الغزاة الطامعين الذي كان بزعامة حاكم ايران نادر شاه ، واثبتت البصرة في النصف الاول من القرن الثامن عشر انها مدينة صامدة بوجه التحديات الخارجية مهما يكون الثمن ومهما بلغت قوة العدو . وهذا يبرهن على ان الشعوب الحرة مهما كبت ستنهض من جديد وتعيد بناء مجدها مهما بلغت التضحيات .